



القوة الإنجازية للاستفهام في سورة آل عمران

The Interrogative Illocutionary Power in Al-Imran Surah

خليفة عيسات

جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، khalifa.aissat@univ-alger2.dz

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا لأسلوب الاستفهام الذي يندرج ضمن الأفعال الكلامية التوجيهية في التداولية والذي يهدف فيه المتكلم إلى توجيه المتلقي لفعل شيء ما والتأثير فيه. وقد وقع اختيارنا على سورة آل عمران التي تعددت فيها صور وأنواع الاستفهام بصورة جلية بحسب السياق وتنوع المخاطبين كونها خطاب حجاجي إنجازي قصدي يهدف إلى التأثير في المتلقي وإقناعه بوحداية الله تعالى وقد سعينا في هذا البحث إلى إبراز القوة الإنجازية للاستفهام المستلزمة مقاميا في السورة بتحليلها وتحديد أنواعها وقوتها الإنجازية للوقوف على مقاصد الخطاب المضمر في السورة.

**كلمات مفتاحية:** القوة الإنجازية؛ الاستفهام؛ سورة آل عمران؛ الفعل الإنجازي؛ تداولية؛ خطاب.

Summary:

This research investigates the illocutionary power inherent in the interrogative style, which falls under directive speech acts in pragmatics. In this context, the speaker seeks to guide specific actions and influence the recipient. We have chosen Surah Al-Imran, where diverse forms and typologies of interrogative constructs manifest distinctly contingent upon context and the heterogeneous addressees. Recognizing the Surah's nature as an intentional illocutionary persuasive rhetorical discourse, specifically aimed at influencing and convincing audiences of the monotheism of Allah, this research seeks to underscore the Interrogative Illocutionary Force

within the Surah. This undertaking involves systematically categorizing prevalent interrogative forms, elucidating their degrees of illocutionary force, thereby discerning the implicit rhetorical objectives embedded in the Surah.

**Keywords:** Illocutionary power; interrogative; Surah Al-Imran; performative act; pragmatics; discourse.

## 1. مقدمة:

يعد القرآن الكريم نصا حجاجيا له تأثير قوي في نفوس المتلقين، يفهم في إطار التركيب والسياق وقصد المتكلم، وتتجلى فيه الأفعال الإنجازية التوجيهية لأنه خطاب إلهي موجه للبشرية جمعاء، من أجل إقناعهم وهدايتهم، وتوجيههم واستمالتهم إلى طريق الهداية والإصلاح، ويعد أسلوب الاستفهام من بين أهم الأساليب الإنشائية الطلبية المهمة في البلاغة العربية، ومن ضمن الأفعال الكلامية التوجيهية في التداولية التي يوجه فيها المتكلم المتلقي إلى فعل شيء ما، و التأثير فيه لينجز شيء ما، وللاستفهام قوتان إنجازيتان، قوة إنجازية مباشرة تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم وقصده، وقوة إنجازية غير مباشرة مستلزمة مقاميا، تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم وقصده ويتوصل إليها عن طريق المقام وقصد المتكلم. ويسعى هذا البحث إلى إبراز القوة الإنجازية للأفعال التوجيهية، المجسدة في أسلوب الاستفهام من خلال سورة آل عمران، إحدى السور المدنية التي تدعو إلى توحيد الله تعالى وإثبات الألوهية لله وحده، والدعوة إلى الثبات على الإيمان والحق بالصبر والتقوى، ووقع اختيارنا على هذه السورة لأنها من السور القرآنية المدنية التي تزخر بكل أنواع وصور الاستفهام، وقد ورد الاستفهام في السورة لأغراض متعددة ومقاصد مضمرة تفهم من السياق ومقاصد المتكلم التي جعلت منها خطابا قابلا للمقاربة التداولية. وتتحدد إشكالية هذا البحث فيما يلي: كيف تحققت القوة الإنجازية للاستفهام في سورة آل عمران؟ وقد قام البحث على دراسة بعض أساليب الاستفهام في سورة آل عمران، ووصفها وتحليلها وتحديد أنواعها وتبيين قوتها الإنجازية المستلزمة مقاميا للوقوف على المقاصد غير المباشرة للاستفهام بحسب سياق ومقام الاستعمال، وكيف استعمل في التوجيه والتأثير على المخاطبين وتغيير الواقع، وللوقوف على مدى إنجازية الخطاب القرآني وربطه بالمقام للوصول إلى القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا من خلال أسلوب الاستفهام في سورة آل عمران، مستفيدا في ذلك من التراث اللساني العربي ونظرية الأفعال الكلامية عند جون أوستين "Austin, Jone" وجون سيرل "Jone. Searle" من أجل تعزيز فكرة ربط التراث العربي القديم باللسانيات الغربية

الحديثة، وقد حاولنا تقسيم هذا البحث إلى مبحثين أحدهما نظري تطرقنا فيه إلى تبين مفهوم الاستفهام قديماً وحديثاً، ومفهوم القوة الإنجازية، أما المبحث الثاني حاولنا فيه تحليل القوة الإنجازية للاستفهام في سورة آل عمران، لتتقدمهما تقديم وتليهما خاتمة. وقد اعتمدنا في هذه المقاربة على المنهج الوصفي التحليلي المناسب لهذه الدراسة.

## 2. مفهوم الاستفهام:

يقول السكاكي (ت 626 هـ): "فإنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق، وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج مطابق، فنقش الذهن في الأول تابع وفي الثاني متبوع".<sup>1</sup> فنقش الذهن في الاستفهام تابع بينما في باقي الطلبات متبوع وقد أوضح السكاكي الفرق بين طلب الحصول في الذهن وطلب الحصول في الخارج بقوله: "والاستفهام لطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن، إما أن يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون، والأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني هو التصور، ولا يمتنع انفكاكه من التصديق".<sup>2</sup> فالبعد التداولي للاستفهام يتمثل في طلب حصول صورة الشيء في الذهن بالتصديق أو التصور أما الغرض الإنجازي للاستفهام هو محاولة المتكلم توجيه المتلقي إلى فعل شيء ما.<sup>3</sup>

فالاستفهام طلب الفهم عن الشيء الذي لم يتقدم لك علم به، وأدواته إحدى عشرة أداة: حرفان هما: "الهمزة، وهل"، وتسعة أسماء وهي: "من، ما، متى، أين، أيان، أنى، كيف، كم، أي" وتنقسم هذه الأدوات من حيث المستفهم إلى ثلاثة أصناف: الصنف الأول يطلب به التصور والتصديق وهو الهمزة "أ" والصنف الثاني لا يطلب به إلا التصديق وهو "هل" أما الصنف الثالث يطلب به التصور فقط وهو بقية أدوات الاستفهام.<sup>4</sup> والفرق بين التصور والتصديق يتمثل في أنه في التصور يكون المتكلم خالي الذهن من أي فكرة حول المستفهم عنه، أما في التصديق فيجب أن يكون لدى المتكلم فكرة مسبقة عن الموضوع المستفهم عنه، ويندرج ذلك ضمن ما أسماه سيرل "Searle" بمعيار الشروط المعدّة conditions préparatoires.<sup>5</sup>

وقد يخرج الاستفهام عن معانيه الأصلية لمعان أخرى تفهم من سياق الكلام كالنفي، والإنكار، والتقدير، والتوبيخ، والتعظيم، والتحقير، والاستبطاء، والتعجب، والتسوية، والتمني، والتشويق.<sup>6</sup> ويخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى المعنى المقامي حين يمتنع بقرائن الأحوال ومقامات الكلام إجراؤه على الأصل، فينتج عنه معنى ثان يخالف المعنى الأصلي، وهو

المعنى الذي يسميه التداوليون معنى المتكلم أو المعنى السياقي فيستفاد من الاستفهام باعتباره لفظاً، ومن قرائن الحال باعتباره معنى مقامياً.<sup>7</sup> ولذلك يجب دراسة هذه المعاني في سياقاتها المختلفة وتراكيبها الرفيعة، والوصول إليها عن طريق تأمل السياق وإمعان النظر فيه، ومعرفة قرائن أحواله، وإيماءات تراكيبه.<sup>8</sup> ويرى السكاكي أن أهم شرط تخرقه جملة الاستفهام حتى يمتنع إجراؤها على أصل استعمالها، فتتجزأ فعلاً آخر غير مباشر هو شرط جهل المتكلم بالمستفهم عنه؛ مما يستلزم عنه وجود دلالة أخرى غير مباشرة تحولت عن صيغة الاستفهام، يتوصل إليها من عناصر السياق المحيطة بالمنطوق الإنجازي<sup>9</sup> وأما الاستفهام في القرآن الكريم يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل.<sup>10</sup>

ويعد الاستفهام من الأفعال الكلامية التوجيهية، لأنه يوجه المتلقي إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة على الأسئلة، ومن ثم فإن المتكلم يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث بل وللسيطرة على ذهن المتلقي، وتسيير الخطاب إلى اتجاه ما يريده المتكلم، لا حسب ما يريده الآخرون.<sup>11</sup> ولذلك فإن الاستفهام من التوجيهيات (Directives) التي غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المتلقي إلى فعل شيء ما، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات World-to-Words وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة أو الرغبة الصادقة، والمحتوى القضوي فيها هو دائماً فعل السامع شيئاً في المستقبل.<sup>12</sup>

تحليل لقوة الاستفهام بين ابن الحاجب والفيلسوف جون سيرل (John Searle): من العلماء الذين أبدوا رأيهم في المسألة ابن الحاجب (ت 635 هـ) ففي تحليله لجملة "هل زيد قائم؟" استنتج وجهين: الوجه الأول: أن المتكلم أفاد المخاطب حصول نسبة بين المسند إليه والمسند على وجه الاستفهام، فكأنه نسب قياماً مستفهماً عنه إلى زيد، كأنه يقول: "زيد أنا مستفهم منك عن قيامه" والوجه الثاني: أنه أفاد المخاطب "قيام مستفهم عنه منسوب إلى زيد". وهذا التحليل يشبه تحليل سيرل "Searle" لأن الملفوظ في تحليل سيرل "Searle" مكون من مكونين: محتوى قضوي، وقوة إنجازية، والمحتوى القضوي في "زيد قائم" والقوة الإنجازية هي "الاستفهام عن قيامه" وأما بتحليل ابن الحاجب فتكون الجملة ذات بعدين: إسناد لغوي "علاقة إسنادية بين زيد وقائم" وكيفية تكيفت بها تلك العلاقة هي كونها مستفهماً عنها.<sup>13</sup>

### 3. مفهوم القوة الإنجازية (force illocutoire):

ومن أجل تفكيك بنية الفعل الكلامي لتحرير عناصرها إلى وحداتها الأولية، قسمها جون سيرل "Jone.Searle" إلى مستويين: المستوى الدلالي المنطقي، والمستوى التداولي؛ فسعى المستوى الأول: محتوى القضية *contenu proposiotinnel* وسمى الثاني: القوة الإنجازية *force illocutoire* وهذا الأخير هو المكون الذي يطبعها بطابعها التداولي الصريح.<sup>14</sup> والقوة الإنجازية التي يمكن أن تواكب العبارات اللغوية، قوتان: قوة إنجازية حرفية، وقوة إنجازية مستلزمة، ويميّز عادة بين هاتين القوتين على أساس أن القوة الإنجازية الحرفية تكون ملازمة للعبارة اللغوية في مختلف المقامات التي ترد فيها بينما القوة الإنجازية المستلزمة فهي مرتبطة مقامياً بحيث لا يتم توليدها إلا في طبقات مقامية معينة، ويتوصل إليها عبر عمليات ذهنية استدلالية.<sup>15</sup>

يمتلك الفعل الكلامي قوى إنجازية متعددة تتغير بحسب المقام الذي وقعت فيه، فالقوة الإنجازية مرتبطة بالمنطوقات لا الجمل؛ فالمنطوق الواحد بإمكانه أن يتضمن قوى إنجازية مختلفة، في مقامات مختلفة، فالقوة الإنجازية إذن هي الشدة أو الضعف اللذان يمكن أن يعرض بأحدهما غرض إنجازي واحد، في سياق معين من سياقات استعمال المنطوق.<sup>16</sup> فالقوة الإنجازية هي القصد الذي ينويه المتكلم أو يستلزمه خطابه مقامياً من خلال القوة الإنجازية الحرفية الحاضرة في العبارة اللغوية أو القوة الإنجازية غير المباشرة المستلزمة التي يتم توليدها في طبقات مقامية معينة، ومحددات هذه الأفعال الإنجازية بحسب التداوليين قوامها عنصران أساسيان ضمن مؤشرات السياق، وهما: القصد والاستعمال.<sup>17</sup> وقد اختلف أوستين "Austin" وسيرل في مفهوم القوة الإنجازية فيرى أوستين أن القوة الإنجازية تحقيق لمقصد المتكلم تحقيقاً ناجحاً، بينما سيرل "Searle" يرى أن القوة الإنجازية حاصل تفسير المتلقي للمنطوق.<sup>18</sup> وقد ميّز سيرل "Searle" بين مفهومين: مفهوم "فعل القول" ومفهوم فعل القوة، فيرى أن الأول هو الفعل اللغوي ذو المعنى المحدد في لغة من اللغات، بينما الثاني هو ملء هذا اللفظ بقوة إنجازية معينة كأن يكون فعل القول ظاهره "الاستفهام" ولكن قوته الإنجازية هي الإنكار.<sup>19</sup> وجون سيرل يلج على أن الفعل الكلامي الحقيقي هو الفعل الإنجازي الذي يتضمن قوة إنجازية، أو هو القوة الإنجازية ذاتها، فتركيز سيرل كله على القوة وإلحاحه على تعيين مؤشر هذه القوة.<sup>20</sup> فتحليل سيرل "Searle" كان مبني

بشكل أساسي على القوة الإنجازية، ويرى أن الفعل الكلامي الإنجازي هو الذي يتضمن قوة إنجازية، ويتوفر على عناصر القوة الإنجازية، وأهمها الغرض الإنجازي واتجاه المطابقة.

### 1.3 معايير القوة الإنجازية:

وهي عبارة عن متغيرات دلالية أو تداولية ومن أهم هذه المعايير ذات الطابع التداولي، وذات الأثر الواضح في الحكم على إنجازية الفعل أو عدم إنجازيته، وأهمها: الغرض الإنجازي، واتجاه المطابقة بين اللغة والعالم، وشرط الصراحة، وتوفر هذه العناصر وتضافرها في فعل واحد يوفر للفعل قوة إنجازية عالية.<sup>21</sup> فتحديد القوة الانجازية عند سيرل "Searle" يكون على أساس تداولي ولا بد من اجتماع هذه العناصر الثلاثة في الفعل الكلامي.

### 4. الدراسة التطبيقية:

#### 1.4 التعريف بسورة آل عمران:

سورة آل عمران سورة مدنية عدد آياتها مائتي آية، وسميت بسورة آل عمران لورود قصة آل عمران فيها والمراد بآل عمران عيسى ويحي ومريم وأمها، وعمران هو والد مريم أم عيسى عليه السلام.<sup>22</sup> و اشتملت على ركنين من أركان الشريعة الإسلامية وهما: الجانب الأول: جانب العقيدة وإقامة الأدلة والبراهين القاطعة على وحدانية الله: فجاءت الآيات القرآنية لإثبات الوحدانية والنبوة وصدق القرآن الكريم، والرد على شبهات أهل الكتاب، وخاصة النصراني الذين جادلوا في شأن المسيح عليه السلام وزعموا ألوهيته، وكذبوا رسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأنكروا القرآن الكريم. والجانب الثاني: جانب التشريع وما يتعلق بالجهاد في سبيل الله: تناولت السورة الكريمة أحكام الشريعة الإسلامية كفريضة الحج، والجهاد، والربا وحكم مانع الزكاة، ثم جاء الحديث عن الغزوات، كغزوة بدر، وأُخِذ، والدروس التي تلقاها المسلمون من الغزوات، وختمت السورة بالتفكير والتدبر في ملكوت السماوات والأرض والحث على المصابرة والمراقبة للثبات على الدين الإسلامي.<sup>23</sup> فسورة آل عمران تعلم الإنسان طريق الهداية والثبات أمام المحن والصعوبات المختلفة في هذه الحياة الدنيوية، وتقدم وسائل لترسيخ تلك المعاني والقيم من خلال نماذج بشرية اتبعت المنهج الرباني وعاشوا عليه، وتؤكد للمؤمنين أن الباطل زائل والحق قائم إلى قيام الساعة، ولكن لا يتحقق ذلك إلا بالمصابرة والمراقبة والتقوى والثبات على الحق والإيمان.<sup>24</sup>

#### 2.4 القوة الإنجازية للاستفهام في سورة آل عمران:

قال الله تعالى: { فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } [آل عمران، 20] الفعل الكلامي: { أَأَسْلَمْتُمْ } وفي قوله " أَأَسْلَمْتُمْ " استفهام في معرض التقرير وإنما جاء بالأمر في صورة الاستفهام، لأنه بمنزلة في طلب الفعل والاستدعاء إليه؛ إلا أن في التعبير عن معنى الأمر بلفظ الاستفهام فائدة أخرى، وهي التعبير بكون المخاطب معاندا بعيدا عن الإنصاف.<sup>25</sup> ويرى ابن عاشور أن الاستفهام مستعمل في الاستبطاء والتحضيض وجيء بصيغة الماضي في قوله " أَأَسْلَمْتُمْ " للتنبيه على أنه يرجو تحقيق إسلامهم حتى يكون كالحاصل في الماضي.<sup>26</sup> والفعل الكلامي في هذه الآية " أَأَسْلَمْتُمْ " فعل كلامي مباشر هو الاستفهام دلت عليه أداة الاستفهام الهمزة (أ) ويتضمن فعل إنجازي غير مباشري يحمل قوة إنجازية، مستلزمة مقاميا متمثلة في الأمر؛ بمعنى "أسلموا" وهو الفعل الإنجازي الكلي بالإضافة إلى أفعال إنجازية غير مباشرة هي الاستبطاء والتحضيض لتنبيه المشركين من غفلتهم وقد جاء بالأمر في صيغة الاستفهام لأن في ذلك إغراء للمخاطب ودعوته وحثه للاستجابة وقبول الأمر، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر أهل الكتاب والأُمِّيِّين بأن يسلموا وجههم لله تعالى مخلصين له، وأتاهم بالبينات والحجج بما يوجب الدخول في الإسلام، وقد ظهرت شدة القوة الإنجازية في قوله تعالى "والله بصير بالعباد" الذي فيه وعد ووعد للمؤمنين والنصارى ولمن تولى عن الإسلام، لأن الله مطلع بجميع أحوالهم، والفعل التأثيري الناتج عن الفعل الكلامي هو دعوة المشركين إلى الدخول في الإسلام وتوحيد الله.

قال الله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ } [آل عمران، 23] الفعل الكلامي: { أَلَمْ تَرَ } إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ { وألستم } في قوله { أَلَمْ تَرَ } تعجيب للرسول الله من أهل الكتاب ومن سوء صنيعهم وتقرير لما سبق لأن اختلافهم في الإسلام وقع بعدما جاءهم العلم<sup>27</sup> والاستفهام يفيد التقرير والتعجيب، ودخل الاستفهام على نفي الفعل فحصل الإقرار بالفعل ليكون التقرير على نفيه محرضا المخاطب على الاعتراف به بناء على أنه لا يرضى أن يكون ممن يجهله.<sup>28</sup> فالآية تحتوي على فعل إنجازي مباشر يتمثل في الاستفهام بالهمزة (أ) ويتضمن فعل إنجازي غير مباشر ذو قوة إنجازية مستلزمة مقاميا هي التقرير، لأنفيه تقرير لما سبق وبسبب اختلافهم في الإسلام الذي كان بعد مجيء العلم، وفعل كلامي غير مباشر آخر

هو التعجب، للتعجب من حال أهل الكتاب لأنهم طلبوا أن يكون القرآن الكريم حكم بينهم فيما اختلفوا فيه، ثم أعرضوا عن الحق وأصروا على باطلهم، كما قامت عليهم الحجة لأنهم ممن أوتوا نصيبا من الكتاب لكنهم أعرضوا عن كتاب الله تعالى وتولوا عن حكم الكتاب الذي يعتقدون صحته، كما زادت عبارة "معرضون" من شدة القوة الإنجازية. والفعل التأثري الناتج عن هذا الفعل الكلامي يتمثل في الدعوة إلى إتباع كتاب الله.

قال الله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَا لَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [آل عمران، 25] الفعل الكلامي: {فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَا لَهُمْ} يقول الزمخشري فكيف تكون حالهم وهو استعظام وتهويل لما أعد الله لليهود فيفضحهم على رؤوس الأشهاد، ثم يأمر بهم إلى نار جهنم<sup>29</sup> وفي الآية فعل كلامي مباشر دلت عليه الأداة (كيف) والقوة الإنجازية المباشرة هي الاستفهام والإخبار، و تضمن قوة إنجازية غير مباشرة هي الاستعظام والتهويل استعظاما لحالهم وتهويلا من يوم الحساب ووعيد وتهديد لما أعد لهم الله في ذلك اليوم الذي لاشك في وقوعه نتيجة كفرهم وطغيانهم وإعراضهم عن الإسلام والفعل التأثري تعظيم يوم القيامة،

قال الله تعالى: {قَالَ رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [آل عمران، 40]. الفعل الكلامي: {قَالَ رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ} الاستفهام في الآية يراد به التعجب، قصد منه معرفة مكان الولد، لأنه لما سأل الولد فقد تهيأ له ذلك فلا يكون قوله "أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ" إلا تطلبا لمعرفة كيفية ذلك على وجه يحقق له البشارة، وليس من الشك في صدق الوعد، (وأُنَى) بمعنى كيف، وهذا التعجب يوجب الشكر على هذه المنة فهو كناية عن الشكر، وفيه تعريض بأن يكون الولد من زوجة عاقر ورجل كبير في السن وهذه كرامة لزوجة زكرياء<sup>30</sup> نجد في الآية فعل كلامي مباشر دلت عليه الأداة (أُنَى) وهي بمعنى "كيف" ويتضمن فعل إنجازي غير مباشر يحمل قوة إنجازية مستلزمة مقاميا هي التعجب يعبر فيه النبي زكريا عن مشاعره وتعجبه من قدرة الله وللاستجابة السريعة لدعوته، وعن كينونة الولد مع انتفاء أسباب الإنجاب لأن حالة الإنجاب كانت خارقة للعادة وخروج عن المألوف، مع يقينه التام بكمال قدرة الله تعالى، وسؤال زكريا لم يصاحبه تشكيك في قدرة الله ولكن راع فيه التأدب مع الله والتعجب من إنجاب الولد وقد بلغ الكبر عتياً وزوجته عاقر تعظيما لقدرة الله عز وجل بأنه القادر على كل شيء.

قال الله تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ } [آل عمران، 70] الفعل الكلامي: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ } والاستفهام في قوله "لِمَ تكفرون" استفهام إنكاري، ونداءهم بأهل الكتاب ثانية لقصد التوبيخ وإحراجهم وانتظار جوابهم، وتسجيل باطلهم عليهم، لأنهم لبسوا الحق بالباطل بما أدخلوا فيه من الأكاذيب والخرافات والتأويلات الباطلة.<sup>31</sup> وفي هذا الاستفهام رد الله كيدهم في نحورهم وفضحهم على رؤوس الأشهاد، واستعمال أداة الاستفهام "لِمَ" للمبالغة في شدة الإنكار والتوبيخ، ولنفي السبب وإنكاره، ونفي السبب يستلزم نفي المسبب؛ أي ليس لكفرهم بآيات الله وخلطهم الحق بالباطل وكتهمهم الحق أسباب فهم كافرون بكل وحي، ويعلمون أن دين الله هو الإسلام.<sup>32</sup> والفعل الكلامي المباشر هو الاستفهام بـ (لِمَ) أدى إلى فعل إنجازي غير مباشر يتضمن قوة إنجازية مستلزمة مقاميا هي الإنكار، فالله تعالى أنكر أعمال أهل الكتاب الذين أنكروا الدين الإسلامي ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم رغم الحجج الدالة على نبوته وهم يشهدون حقيقته من التوراة والإنجيل، والفعل التأثري الناتج عن الفعل الكلامي هو التأثير في أهل الكتاب حيث خاطبهم الله بلطف تأدبا معهم وبكل الحجج لغرض استلطافهم والتأثير فيهم للتصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإتباع الدين الإسلامي.

قال الله تعالى: { أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ نَبَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [آل عمران، 83]. الفعل الكلامي: { أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ نَبَغُونَ }. فهم لم يبايعوا ويتبعوا الرسل التي أرسلت إليهم وفي هذه الحالة لا يكونون على دين الله.<sup>33</sup> فكل الخلق منقادون بتسخيره مستسلمون له طوعا واختيارا فمنهم المؤمنون المنقادون لعبادة ربهم وكرها وهم سائر الخلق واليه مرجع الخلائق كلها.<sup>34</sup> والاستفهام للإنكار والتوبيخ ينكر على من يطلب غير دين الله ويؤبّخه لأن من بغى غير دين الله فهو ضال<sup>35</sup> فالآية تحتوي على فعل إنجازي غير مباشر منبثق من فعل إنجازي مباشر هو الاستفهام والقوة الإنجازية للفعل الكلامي بحسب السياق هي الإنكار والتوبيخ حيث الله ينكر ويؤبّخ ما جاء به أهل الكتاب بإتباعهم دينا غير دين الله، وقد أقام عليهم الرسول كل الحجج لإتباع دين الله لكنهم أعرضوا و أنكروا، والفعل التأثري هو التأثير في المتلقي بأن الدين الصحيح هو الإسلام وأن كل الديانات الأخرى باطلة.

قال الله تعالى: { كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [آل عمران، 86] الفعل الكلامي: { كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا }. فكيف يهدي الله قوما ظالمين كاليهود والنصارى لأنهم عرفوا الحق وتركوه

وكفروا بعد إيمانهم وقد أقيمت لهم كل الحجج والأدلة من القرآن الكريم والكتب السابقة و سائر المعجزات الدالة على صدق النبوة وهذا استبعاد لهداية هؤلاء وتأسيس للرسول منهم<sup>36</sup> والفعل الكلامي المباشر يتمثل في الاستفهام الذي دلت عليه الأداة (كيف) أما قوته الإنجازية غير المباشرة هي الاستبعاد لاستبعاد هدايتهم لأنهم آمنوا بالله وبالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم كفروا به ولم يتعضوا بما جاءت به الآيات البيّنات والبراهين القاطعة، لأنهم تركوا الهدى والحق بعدما عرفوه واتبعوا الضلال والكفر مع علمهم بالحق وإيمانهم بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام لفترة معينة وإقرارهم بما جاء به من عند الله وصدقوه وقد اتاهم بكل الحجج الدالة على صحة نبوته ورسالته، فأستبعد الله وقوع هدايتهم لأنهم أقوام مرتدين عن دين الله، والفعل التأثيري توجيه الخطاب للمتلقى بخطورة الردة عن الدين واستبعاد التوبة عن الكفار الظالمين لأنهم فضلوا الكفر على الإيمان وبدلوا الحق بالباطل.

قال الله تعالى: { وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [آل عمران، 101] الفعل الكلامي: { وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ } والاستفهام في الآية للاستبعاد لأن المخاطبين لم يكونوا كافرين ولا يتوقع منهم الكفر وأداة الاستفهام (كيف) هنا لنفي أن يكون لهذا الكفر حال، وهذا يقتضي نفي الكفر من الأساس، وهذا هو المناسب في خطاب المؤمنين وفي قوله تعالى: "وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ" جملة حالية وفيها تعليل وبيان لاستبعاد الكفر عن المؤمنين وإشارة إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله.<sup>37</sup> وفي قوله "فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" أفاد الكلام تحقق الهدى حتى كأنه قد حصل.<sup>38</sup> الفعل الكلامي المباشر هو الاستفهام دلت عليه الأداة (كيف) أدى إلى فعل إنجازي غير مباشر تضمن قوة إنجازية مستلزمة مقاميا هي الاستبعاد؛ استبعاد الكفر عن المؤمنين واعتصامهم بكتاب الله وسنة رسوله. والفعل التأثيري الناتج عن الفعل الكلامي هو دعوة المسلمين إلى التمسك بكتاب الله، لأنه الدين الحق، وتحذيرهم من كيد أهل الكتاب.

قال الله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [آل عمران، 106] الفعل الكلامي: { أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } يقول الألوسي يوسم أهل الحق والإيمان ببياض الوجه تشريفا لهم وتعبيرا عن الفرح والسرور ويوسم أهل الباطل والكفر بسواد الوجه تعبيرا عن الحزن والغم وسوء العاقبة، والاستفهام في قوله: " أَكْفَرْتُمْ " للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر من السياق أنهم أهل

الكتاب الذين كفروا بعد إيمانهم وقيل جميع الكفار والأمر في قوله: " فذوقوا " للإهانة والإذلال بمعنى أدخلوا جهنم بسبب تماديكم في الكفر والضلال والموت على هذه الحال الشنيعة<sup>39</sup> ورد في الآية فعل إنجazy مباشر هو الاستفهام تضمن قوة إنجazy مستلزمة مقاميا هي التوبيخ والتعجيب توبيخ أهل الكتاب الذين كفروا بعد إيمانهم، فتركوا طريق الهدى واتبعوا طريق الضلال وقد أعد لهم الله نار جهنم بسبب كفرهم كما استنكر الله عليهم هذا العمل الشنيع. ونتج عن فعل التوبيخ فعل إنجazy ضمني هو التعجيب وهو تعجب غيرهم من حالهم لأنهم كفروا بعد إيمانهم، وهذا من أشد أنواع الكفر، والفعل التأثري هو استنكار مخالفة أوامر الله تعالى ورفض الكفر بعد الإيمان وأن وعد الله منجز.

قال الله تعالى: {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ} [آل عمران، 124] الفعل الكلامي: {أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ، أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ} وردت هذه الآية في سياق تفضُّل وامتنان إلهي على الرسول والمؤمنين، وتصدرت بجملة الاستفهام، وهمزة الاستفهام دخلت على أداة النفي (لن) التي نفت الفعل بعدها، ثم نفت الهمزة ذلك النفي فصار الكلام إثباتا، والاستفهام تقريرى لأن المقام هنا يناسبه تقرير المخاطب.<sup>40</sup>، فالفعل الإنجazy المباشر هو الاستفهام بالهمزة (أ) الذي أدى إلى فعل إنجazy غير مباشر تضمن قوة إنجazy مستلزمة مقاميا هي التقرير، غرضه حمل المخاطب على الإقرار بأن الله أمدهم بثلاثة آلاف من الملائكة للجهاد معهم وأن الله سوف ينصرهم على المشركين، إن صبروا واحتسبوا أمرهم طاعة لله ورسوله، والفعل التأثري هو التأثير في المتلقي، وفي نفسيته لتزداد قوة المسلمين وزرع روح الثقة، والصبر والثبات على الإيمان في نفوسهم، وأنهم سينصرون على المشركين إذا ثبتوا ورسخوا على دينهم.

قال الله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} [آل عمران، 144] الفعل الكلامي: {أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} بدأت الآية بأسلوب القصر "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ" وهو قصر موصوف "محمد" على صفة "رسول" وفيه رد على من حضر غزوة أُحُد وأعتقد أن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام لن يموت كما مات الرسل الذين قبله<sup>41</sup>. والاستفهام في الآية غرضه الإنكار لإنكار انقلابهم عن الدين بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، لأنهم لما انقلبوا على أعقابهم كانوا يعتقدون أنه عليه الصلاة والسلام ليس كسائر الرسل، فرد الله تعالى عليهم بأنه رسول كسائر الرسل بعثه الله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وسيكون مصيره

الموت ويخلو كما خلوا من قبله الرسل، وأن رسالته لا تقتضي خلوده ويجب التمسك بدينه<sup>42</sup> فالاستفهام في الآية أدى إلى فعل إنجاذى غير مباشر تمثلت قوة الإنجاذية في الإنكار، حيث أنكر الله تعالى على المسلمين الذين انقلبوا وتركوا الجهاد والإيمان بالله في غزوة أُحُد، بعدما انهزموا في المعركة وقُتل من قُتل من المسلمين وشاع بينهم أن محمد صلى الله عليه وسلم قد قُتل فحصل ضعف ووهن بين المسلمين في الجهاد، فأنزل الله تعالى هذه الآية لتقرير حقيقة ثابتة أن الرسول عليه الصلاة والسلام سيموت كما مات الأنبياء، الذين سبقوه لأنه واحد من البشر إلا أن الله تعالى خصه واصطفاه بالرسالة لكن هذه الأخيرة لا تقتضي خلوده، وما على المسلمين إلا إتباع دينه وعلمهم بالجهاد لنصرة دين الله الذي جاء به الرسول، وأن يقاتلوا الكفار نصرة للإسلام وفي سبيل الله، وحذرهم من الردة والتولي عن الإسلام والرجوع إلى الكفر والضلال، وأن لا يجعلوا موت النبي عليه الصلاة والسلام حجة لترك الهداية بعد الهدى، وإنما عليهم التمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد موته، وهي الرسالة الخالدة الباقية إلى يوم القيامة، ونههم إلى أن من يرتد عن دينه ويرجع كافراً، فلن يضر الله شيئاً وإنما يضر نفسه، كما وعد المؤمنين الثابتين الشاكرين بأحسن الجزاء في الآخرة. والفعل التأثيرى وهو الثبات على دين الله وعبادة الله وحده وأن الله هو المعبود لا رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، وأن يكون هدف المسلمين إقامة دين الله والدفاع عنه، وفيه نبي لكل المرتدين عن الإسلام في غزوة أحد وتحذير للمخاطبين من الوقوع في الردة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام.

##### 5. خاتمة:

سعيانا في بحثنا هذا إلى دراسة البعد الإنجاذى للاستفهام في سورة آل عمران انطلاقاً من آليات الدرس التداولي المتمثلة في الأفعال الكلامية وتوصلنا في الأخير إلى جملة من النتائج نلخصها فيما يلي:

يعد الاستفهام من الأساليب الإنشائية الطلبية في البلاغة العربية ويندرج ضمن الأفعال الكلامية التوجيهية في التداولية، وله قوة إنجاذية مباشرة وقوة إنجاذية غير مباشرة، وتكمن أهميته باعتباره من الأساليب التي توجه المتلقي إلى فعل شيء ما.

أسلوب الاستفهام في سورة آل عمران خرج من معناه الحقيقي طلب الفهم إلى معاني مجازية بحسب السياق وقصد المتكلم، إلى أغراض حجاجية وإنجاذية لتوجيه المتلقي إلى فعل

شيء ما، بهدف إقناعه والتأثير فيه بتركه للمعتقدات الباطلة ودعوته إلى طريق الهداية، والخير ودعوة المؤمنين إلى الثبات على الإيمان، والحق بالمصابرة والمrabطة وتقوى الله.

تنوعت القوة الإنجازية للاستفهام في سورة آل عمران بين التعجب والتقدير والإنكار والاستبعاد والتعجب والتهويل، والتوبيخ، وقد اختلفت قوتها بحسب المقام، وقصد المتكلم، وتنوع مواضع السورة وأغراض الخطاب، وهو ما أدى إلى خروج معان الاستفهام إلى أغراض إنجازية غير مباشرة بحسب السياق الذي وقعت فيه.

وفي ختام هذا البحث نأمل إلى قراءة القرآن الكريم وفق المنهج التداولي وخصوصاً نظرية أفعال الكلام، لمرونة ومناسبة هذه النظرية لتحليل الخطاب القرآني مع ربط هذا كله بالتراث العربي القديم وفق منهجية واضحة ومضبوطة بما يتوافق مع طبيعة الخطاب القرآني.

### مراجع البحث وإحالاته:

- 1 السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1987، 2، ص 303.
- 2 المرجع نفسه، ص 415
- 3 ينظر: الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، د ط، 1994، ص 82.
- 4 ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط 4، 1997، ص 168.
- 5 ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 2005، ص 114.
- 6 ينظر: المرجع نفسه، ص 169.
- 7 ينظر: فريدة بن فضة، الاستفهام عند السكاكي دراسة تداولية، مقال، مجلة الممارسة اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو المجلد 6، العدد 3، 2015، ص 113
- 8 ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، ط 1، 1998، ج 2، ص 101.
- 9 ينظر: علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2010، ص 189.

- 10 ينظر: السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1988، ج1، ص328.
- 11 ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2004، ص352..
- 12 ينظر: محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2002، ص79.
- 13 ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، دار أزمنة، الأردن، ط1، 2023، ص163.
- 14 ينظر: مسعود صحراوي، القوى الإنجازية عند ج. سيرل: بنيتها ومنهج تصنيفها، (مقال)، مجلة تداوليات، جامعة عمار ثليجي، الأغواط المجلد01 العدد2023، 01، ص07.
- 15 ينظر: أحمد المتوكل، أفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، المغرب، ط1، 1993، ص21.
- 16 ينظر: محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد2005، 65، ص138.
- 17 ينظر: أحمد كروم، مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2015، ص135.
- 18 ينظر: المرجع نفسه، ص139.
- 19 ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، ص165
- 20 ينظر: مسعود صحراوي، القوى الإنجازية عند ج. سيرل: بنيتها ومنهج تصنيفها، ص07.
- 21 ينظر: المرجع نفسه، ص171.
- 22 ينظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مطبعة السعادة، مصر، ط2، 1987، ج3، ص05.
- 23 ينظر: محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الأفاق العربية، مصر، ط2002، 1، ص56.
- 24 ينظر: رقية العلواني، تدبر الزهراوين سورة آل عمران، بصائر، البحرين، ط1، 2014، ص03.
- 25 الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر العربي لبنان، ط1، 1981، ج7، ص230.
- 26 ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984، ج1، ص202.

- 27 ينظر: أبي السعود، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د ط، د ت، ج 2، ص 20.
- 28 ينظر: بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 3، ص 208.
- 29 ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل احمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1998، ج 1، ص 549.
- 30 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 4، ص 242.
- 31 ينظر: المرجع نفسه، ج 4، ص 280.
- 32 ينظر: عبد العظيم إبراهيم المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم مكتبة وهبة، القاهرة، ط 03، 2011، ج 01، ص 168.
- 33 ينظر: سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة، مصر، ط 1، 1985، ج 2، ص 711.
- 34 ينظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط 1، 2002، ج 3، ص 137.
- 35 ينظر: محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط 1435 هـ، ج 1، ص 466.
- 36 ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط 10، 2009، ج 3، ص 315.
- 37 ينظر: المرجع نفسه، ص 176.
- 38 ينظر: الألوسي، روح المعاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1994، ج 2، ص 234.
- 39 ينظر: المرجع نفسه، ج 2، ص 242.
- 40 ينظر: عبد العظيم إبراهيم المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، ج 2، ص 179.
- 41 ينظر: المرجع نفسه، ص 185.
- 42 ينظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج 2، ص 93.